سَلِيلَةُ
الرَّمَادِ
تأليف:
مبادرة فراشة
أكتوبر

سليلة الرَّماد

تأليف: كُتَّاب مبادرة فراشة أكتوبر

تدقيق: سدرة المفلس

تصميم وإشراف: فاطمة فَتُّوح

سنة النشر: 2026 م

©جميع الحقوق محفوظة لا يُسمح بأيِّ نسخ أو اقتباس من الكتاب دون إذن مسبق من المُؤلِّفين.

إهداء

إلى أولئك الّذين وُلدوا من بين الرّماد،
ولم يعرفوا أنَّ احتراقهم كان بداية الحكاية.

إلى الأرواح الّتي حملتْ ندوبَها كأنّها أوسمة،
وللّذين ساروا في الظّلام بحثًا عن نورٍ
لم يكن يعرفه أحدٌ سواهم.

إلى كلِّ من ظنّ أنَّ النّهاية كانت موتًا،
بينما كانت في الحقيقة... ولادةً أخرى.

وإلى سليلة الرَّماد،
الّتي لم ترث من أسلافها سوى النار،
فقرّرت أن تصنع منها تاجًا.

هذه الحكاية لكِ.

مُقدّمة

هناك حكاياتٌ تبدأ بولادة طفل، وحكاياتٌ تبدأ بموت ملك، وأخرى تبدأ حين تسقط أوّل قطرة دمٍ على أرضٍ لم تعرف السّلام منذ آلاف السّنين.

لكنَّ هذه الحكاية... بدأت بالنّار.

لم يكن أحدٌ يعرف متى اشتعلت النّيرانُ للمرّة الأولى، ولا مَن أشعلها، ولا لماذا تركت وراءها مُدنًا كاملةً بلا أسماء، وقصورًا تحوّلت إلى رماد، ومقابرَ لم يُكتب على شواهدها سوى تاريخٍ واحدٍ لا يفهمه أحد.

كانوا يقولون أنَّ النَّار ابتلعتْ كلَّ شيء.

البيوت، العرش، العهود، الكتب، والأسماء.

وكانوا يقولون أيضًا أنَّ لا شيء يمكن أن يولد من الرّماد.

لكنّهم كانوا مُخطئين!

فبعض الأشياء لا تموت حين تحترق.. بعضها ينتظر!

ينتظر تحت الرّماد، في صمتٍ طويل، حتّى يحين الوقت الّذي تستعيد فيه النّار اسمها.

في ذلك العالم، لم تكن الممالك تُقاس باتّساع أراضيها،
بل بقوّة الدَّم الّذي يجري في عروق حُكّامها.
كان الدَّم إرثًا، والسّحر عهدًا، والاسم سلاحًا.
وكان لكلِّ مملكةٍ تاريخٌ تخشاه أكثر ممّا تفخر به، ولكلِّ عائلة
سرٌّ تدفنه أعمق من قبورها.

منذ قرون، تناقلت الأجيال أسطورةً قديمة تتحدّث عن
فتاة ستظهر في زمنٍ لا يشبه ما سبقَه من أزمنة.
فتاةٌ لا تنتمي تمامًا إلى عالم الأحياء، ولا إلى عالم الأساطير،
تحمل في دمها شيئًا ظنَّ الجميع أنَّه انطفأ منذ زمنٍ بعيد.

كانوا يسمّونها في الأسطورة:
"سليلة الرماد"
لكنَّ الأساطير، كما يعتقد البشر، لا تعود إلى الحياة.
لهذا لم يبحث عنها أحد.
لم يكن أحدٌ مستعدًّا لأن يصدق أنَّ الأسطورة قد تكون
أقرب إليه ممّا يتخيّل.

كبرت الحكاية مع مرور السّنوات،
وتغيّرت تفاصيلها من راوٍ إلى آخر.
بعضهم قال أنَّ سليلة الرَّماد ستكونُ منقذة الممالك.
وبعضهم أقسم بأنّها ستكون سبب سقوطها.
قال آخرون أنَّها ستحمل في قلبها قوّةً تستطيع إحياء ما مات، بينما قال آخرون أنّها ستجلب نارًا لا يستطيع أحدٌ إخمادها.
لكنَّ الجميع اتّفقوا على شيءٍ واحد:
حين تظهر، لن يبقى العالم كما كان.
وكان الخوف من تلك الجملة يفوقُ الخوف من الموت نفسه.
لذلك دُفنت الحقيقة، أُحرقت السّجلّات، مُحيت الأسماء، وأُغلقت الأبواب الّتي لا ينبغي أن تُفتح، وتعلّم النّاس أن يعيشوا وهم يظنّون أنَّ الماضي قد انتهى، لكنّ الماضي لا ينتهي..
إنّه يختبئ، يغيّر وجهه، ينتظر اللّحظة المناسبة ليعود.

في مكانٍ بعيدٍ عن القصور، وعن عروش الملوك، وأعين أولئك الّذين يكتبون التّاريخ، كانت فتاةٌ تعيش حياةً عاديّة.

لم تكن تعرف لماذا تراودها أحلامٌ غريبةٌ كلَّ ليلة، لم تكن تعرف لماذا تستيقظ أحيانًا وهي تسمع أصواتًا تناديها باسمٍ لم تسمعه من قبل، أو لماذا تشعر أنَّ بعض الأماكن تعرفها، رغم أنَّها تزورها للمرّة الأولى!

لم تكن تعرف لماذا كانت النّار تُخيف الجميع، بينما كانت بالنّسبة إليها تشبه شيئًا آخر..

شيئًا مألوفًا، يشبه الوطن، شيئًا يشبهها.

كانت تظنُّ أنَّ تلك الأحلام مجرّد أوهام.. حتّى جاء اليوم الّذي تغيّر فيه كلُّ شيء.

اليوم الّذي اكتشفت فيه أنَّ اسمها لم يكن الاسم الوحيد الّذي حملته طوال حياتها، وأنَّ ولادتها لم تكن صدفة، وأنَّ عائلتها أخفَت عنها حقيقةً أكبر من قدرتها على الاحتمال.

اكتشفت أنَّ هناك من كان يبحث عنها منذ ولادتها، ومَن كان ينتظر موتها، ومَن يخشى أن تعرف من تكون.

لن تكون رحلتُها رحلة بحثٍ عن القوّة فقط.
ستكون رحلة بحثٍ عن الحقيقة.
عن أصلها، عن الماضي الّذي سُرق منها، عن أشخاصٍ أحبّتهم دون أن تعرف أنّهم قد يكونون جزءًا من اللّعنة الّتي تلاحقها، وعن عالمٍ ستكتشف أنّه لم يكن بعيدًا عنها كما ظنَّت.

ففي هذا العالم، لا أحد بريءٌ تمامًا، ولا أحد شرّيرٌ تمامًا، فالملوك يخافون، والسَّحرة يدفعون ثمن قوّتهم!
العشّاق قد يصبحون أعداء، والأعداء قد يكونون أحيانًا الأشخاص الوحيدين القادرين على إنقاذك!
حتّى النّبوءات نفسها ليست دائمًا كما تبدو، فالكلمات القديمة قد تُخفي أكثر ممّا تكشف، والحقيقة قد تكون أكثر رعبًا من الكذبة.

وأنت، أيّها القارئ، لن تدخل هذه الحكاية كمتفرِّج.

منذ اللّحظة الّتي تفتح فيها هذه الصّفحات، ستصبح جزءًا من عالمها، ستسير في طرقٍ لم تطأها قدمٌ بشريّةٌ منذ قرون، ستسمع همساتٍ خلف الأبواب، ستدخل قصورًا تخفي جدرانها جرائم قديمة، وستقف أمام أبوابٍ قد تتمنّى لو أنّك لم تفتحها!

ستتعرّف إلى أشخاصٍ قد تحبّهم، ثمَّ تكتشف أنّك لم تعرفهم حقًا، وقد تثق بشخصٍ واحد، فقط لتكتشف لاحقًا أنَّ الثّقة كانت أكبر خطأ ارتكبته.

وستتعلّم أنَّ الرَّماد ليس مجرّد بقايا شيء احترق... الرَّماد هو ذاكرة النّار، وكلُّ ما احترق يترك خلفه أثرًا... حتّى البشر!

كانت "تيا" تهرول في حديقة المنزل بخفّةٍ طفوليّةٍ لا تشوبها هموم، تعبث بخلجات العشب الأخضر وكأنَّ الزَّمن قد توقّف بها عند حدود الطّفولة.

قطع انغماسها صوت والدها الدَّافئ، الّذي اقترب منها بابتسامةٍ حانيةٍ تمحو أيَّ قلق:

ـ تيا.. ابنتي الغالية، هيَّا بنا إلى الدّاخل، البردُ بدأ يشتدّ.

دلفا معًا إلى ردهة المنزل، وفجأة، انشقَّت عتمة الصَّالة عن أضواءٍ مُبهجةٍ وصيحاتِ ضحكٍ صاخبة.

كان الجميع هناك، ملامحهم تفيض بالبِشر والسَّعادة، يلتفّون حولها ويهتفون بصوتٍ واحدٍ مُهنّئين إيّاها بميلادها العشرين.

كانت الأجواء تنبض بالحياة، ولكن.. لم تكن تدري أنَّ هذا العام لم يأتِ ليعلن نُضجها، بل جاء كحجّامٍ يقطع دابر كلِّ الأيّام السّعيدة في حياتها.

فجأة، وبلا مقدّمات، ابتلع ظلامٌ دامسٌ المكان.

انطفأت الأضواء دفعةً واحدة،

ومعه انطفأ الفرح.

ثانيةٌ وراء ثانية، تحوّلت ضحكاتُ المهنِّئين إلى

صرخاتِ ذعرٍ وهلعٍ مخنوقة، كانت الأصوات

تتداخل في الظّلمة وهي تصرخ باسمها:

ـ تيا! أين أنتِ يا تيا؟!

لكنَّ "تيا" لم تعد هناك... اختفت وكأنَّ الأرض

انشقّت وابتلعتها، مخلّفةً وراءها صدى صرخاتهم

العاجزة.

مرّت ساعاتٌ ثقيلةٌ كأنَّها دهور...

استيقظت "تيا" لتجد نفسها قاطنةً في قاع عتمةٍ

مطلقة، برودة المكان تنهش عظامها، ورائحةٌ معدنيّةٌ

نفّاذةٌ تزكم أنفاسها.

حاولت التّحرّك، فلامست أصابعها المرتجفة سائلًا

لزجًا دافئًا.. إنّه الدَّم، كان يملأ الأرجاء ويحيطُ بها

ككابوس حيّ.

انفتح بابٌ حديديٌّ ثقيلٌ مُحدثًا صريرًا يمزّق السّكون، ودلف المدعوّ "كاران" وعيناه تتطاير منهما شرارُ الغضب، نظر إلى هيئتها المزرية وقال بنبرةٍ آمرةٍ حادَّةٍ كالشّفرة:

ـ لماذا أحضرتموها إلى هنا؟! انقلوا هذه الجيفة إلى الغرفة الخارجيّة فورًا!

انحنى حرّاسه برعب قائلين:

ـ أمرك يا سيّدي.

في وقت لاحق، داخل ردهةٍ أشبه بجناح ملكيٍّ مظلم، وقف "كاران" شاخصًا ببصره نحو وجه "تيا" الشّاحب.

كانت تقاسيم وجهه تنطق بالاشمئزاز والعداء التَّام، واقترب منها بهمسٍ مرعبٍ يملؤه الحقد:

ـ بشريّة مقيتة.. كم أمقت جنس البشر!

«جلسَ أمامها للمرّةِ الأولى، يتأمّلُ ملامحَها البشريّةَ بإعجابٍ شديدٍ، هامسًا في سرّهِ:

ـ يا لها من رائعة!

بدأتْ تفتحُ عينيها ببطء، لتقعَ نظراتُها على شابٍّ في أواخرِ العشرينيّاتِ من عُمره، يرتدي ثياباً فيكتوريّةً أنيقةً. كانت نظراتُهُ حادّةً، وعيناهُ خضراوينِ تخترقانِ المدى، وبشرتُهُ حنطيّةً ساحرةً؛ ورغمَ جمالِ عينيهِ، إلّا أنَّ فيهما غُموضًا مُخيفًا. انتفضتْ واقفةً بفزعٍ وهتفتْ بنبرةٍ مرتجفةٍ:

ـ مَن أنتَ؟ وأينَ عائلتي؟ أينَ أنا؟!

ردَّ عليها كاران بصرامةٍ حازمةٍ:

ـ اصمتي، وإلّا مزّقتُكِ إربًا إربًا!

لم تتردّد؛ ركضتْ نحو الطّاولةِ المجاورةِ، والتقطتْ سكّينًا حادًّا، ثمَّ وجّهتْهُ نحوهُ بتهديدٍ.

في تلك اللّحظةِ الحرجةِ،

دلفَ أصدقاؤه إلى الغرفةِ. كان كاران يحاولُ انتزاعَ النَّصلِ من يدها، غيرَ أنَّ دخولَ رفاقِهِ المفاجئَ شتّتَ انتباهَهُ؛ وبحركة خاطئةٍ، جرحتِ السكينُ كفّها، فبدأتِ الدّماءُ الدّافئةُ تسيلُ غزيرةً، تراجعَ عنها بسرعةٍ فائقةٍ، وكأنّ شيئًا ما قد صعقَهُ.

صاحَ سيفٌ بذهولٍ:

ـ رائحةُ دماءٍ! هناك بشريّةٌ هنا!

حاولَ جاسرٌ كبحَ جماحِ أعصابِهِ وتهدئةَ صديقِهِ قائلًا:

ـاهدأْ!

نظرَ الاثنانِ إليها، فبدأت خطواتُ جاسرٍ تندفعُ إلى الخلفِ ليغادرَ المكانَ، في حينِ بدأ سيفٌ يتقدّمُ نحوها بعينينِ جائعتينِ. وما هي إلا لمحةُ بصرٍ حتّى هجمَ سيفٌ، لكنَّ كاران تحرّكَ بحركةٍ خاطفةٍ أسرعَ من الرِّيحِ؛ دفعَ بتيا نحو الحائطِ حاميًا إيّاها، ووقفَ حائلاً يحجبُ سيف عنها.

هتفَ سيف بغضبٍ:

ـ ابتعدْ!

أجابَهُ كاران بنبرةٍ حاسمةٍ:

ـ خذْ منّي ما تشاءُ، ولكن لا تقتربْ منها!

ثمَّ سحبَهُ بقوّةٍ إلى خارجِ الغرفةِ وأوصدَ البابَ عليها خلفَهُ.

في الدّاخلِ، كانتِ الدّماءُ ما تزالُ تنزفُ بكثرةٍ ورائحتُها الزّكيّةُ تنتشرُ وتزدادُ، بينما في الخارجِ، ثمّةَ من يصارعُ وحشَهُ الدّاخليَّ مستميتًا من أجلِ الصمودِ.

كان الباب قد أُغلق، لكنَّ صوت سيفٍ لم يغادر الغرفة

كان صراخه يتردَّد في الممرّات الحجريّة، تتبعه أصوات ارتطام عنيفة، وكأنَّ وحشًا محبوسًا داخل قفصٍ يحاول تمزيق قضبانه.

أمّا تيا، فكانت ملتصقةً بالحائط، تحدّق في كفّها النّازفِ بعينين مذعورتين.

لم تفهم شيئًا... أين هي؟ من هؤلاء؟ ولماذا يتحدّثون عنها وكأنّها شيءٌ لا ينتمي إلى عالمهم؟

ضغطت على جرحها بيدها الأخرى، لكنَّ الدّم لم يتوقّف.

— أرجوك...

خرجت الكلمة من فمها مرتجفة.

— أريد العودة إلى منزلي.

ساد الصّمت.

ثمَّ جاءها صوت من خلف الباب... صوت كاران، هادئًا هذه المرّة.

— لا يمكنكِ العودة.

رفعت رأسها.

— لماذا؟

لم يُجب.

اقتربت من الباب، ثمَّ صاحت:

– أين عائلتي؟ ماذا فعلتم بهم؟!

ظلَّ صامتًا لثوانٍ، ثمَّ قال:

– لا أعرف.

تجمّدت... كان ذلك أوّل جواب صادق تسمعه منذ استيقاظها.

فتحت الباب قليلًا، فرأت كاران واقفًا في الممرّ، وسيف في الجهة المقابلة يحاول السّيطرة على نفسه، بينما كان جاسر ممسكًا بكتفه.

كانت عروق رقبة سيف بارزة، وعيناه قد تغيّر لونهما إلى الأحمر القاني.

نظر كاران إلى تيا، ثمَّ إلى كفّها.

– عالجي جرحك.

قالتها عيناه قبل أن يقولها لسانه.

– كيف؟

أشار إلى طاولة صغيرة قربها.

– هناك صندوقٌ أبيض.

توجّهت إليه، فتحته، وأخرجت قطعة قماش، لكن قبل أن تضعها على جرحها..

دوى صوت سيف:

— أنت مجنون!

التفت الجميع إليه.

تابع بصوت غاضب:

— هل تدرك ماذا تفعل؟ رائحتها ستجذب كلَّ من في القصر!

لم يردّ كاران.

اقترب سيف منه.

— سلّمني إياها.

رفع كاران حاجبيه ببطء.

— لا.

— إنّها بشريّة!

— أعلم.

— إذن لماذا تحميها؟

ساد الصّمت.

حتّى جاسر رفع رأسه منتظرًا الإجابة.

لكنَّ كاران لم ينظر إلى أحد، كان يحدّق في تيا فقط... ثمَّ قال:

— لأنّني لا أريد موتها.

ضحك سيف بسخرية.

— ومنذ متى تهتمُّ بحياة البشر؟

تغيّرت ملامح كاران، اقترب من سيف حتّى أصبح وجهه أمام وجهه مباشرة.

— منذ أن أصبحت حياتها مسؤوليّتي.

لم يفهم أحد معنى كلماته.

أمّا تيا، فشعرت بقشعريرة تسري في جسدها.

— مسؤوليّتك؟

التفت إليها...

وللمرّة الأولى، لم تكن عيناه تحملان كراهية،

بل شيئًا أشدّ غموضًا، شيئًا يشبه الخوف... قال:

— قبل أن تسألي أيَّ شيء، أخبريني باسمك كاملًا.

عقدت حاجبيها.

— تيا... تيا مُراد.

اتّسعت عينا كاران قليلًا.

— مُراد؟

هزَّت رأسها.

— نعم.

تراجع خطوة، بدا كأنَّ الاسم وحده أعاد إليه ذكرى دفنها منذ زمن بعيد.

تمتم:

— مستحيل...

قال جاسر:

— ماذا؟

لم يُجبه.

اقترب من تيا، ثمَّ أمسك معصمها فجأة.

صرخت وحاولت الإفلات منه، لكنَّ كاران لم يكن ينظر إليها.

كان ينظر إلى علامة صغيرة على جلدها، علامة لم تكن موجودة من قبل!

دائرةٌ سوداء تحيط بها خطوطٌ دقيقة تشبه أجنحةً محترقة.

شهق جاسر.

— كاران...

رفع سيف رأسه.

— ما هذه؟

أفلت كاران معصمها ببطء.

ظلَّ صامتًا.

قال جاسر:

— إنّها العلامة نفسها.

نظر إليه كاران.

— اصمت.

لكنَّ سيف اقترب منه.

— علامة ماذا؟

لم يُجب.

ازدادت حدّة صوته:

— كاران، ماذا تعرف؟

رفع كاران عينيه نحو تيا.

كانت هي الأخرى تنظر إليه، وقد امتلأت عيناها بالدّموع.

— ماذا يحدث لي؟

لم يقل شيئًا.

اقترب منها حتّى صار على بعد خطوة واحدة، ثمَّ قال بصوت خافت:

— أنتِ لستِ بشريّةً كما تظنّين.

تراجعت مصدومةً.

— ماذا؟

— هناك شيءٌ في دمك.

ضحكت بتوتّر.

— هذا جنون.

— كنت أتمنّى أن يكون كذلك.

هزّت رأسها بعنف.

– لا... لا، أنا إنسانة! أنا ولدتُ في هذا العالم، عشت مع عائلتي، ذهبت إلى الجامعة، لديّ أب وأمّ...

توقّفت، تذكّرت شيئًا..

أمّها!

كانت أمّها دائمًا تمنعها من السّؤال عن ليلة ولادتها، وكان والدها يغضب كلّما سألته عن سبب وجود ندبة صغيرة خلف كتفها.

وضعت يدها على كتفها ببطء.

همست:

– ماذا كانت أمّي تخفي عنّي؟

نظر كاران إليها طويلًا.

ثمَّ قال:

– الحقيقة الّتي أخفاها والداكِ عنكِ... هي السّبب في أنّكِ هنا الآن.

قبل أن تستوعب كلماته، دوى جرسٌ هائلٌ في أرجاء القصر.

مرّة..

مرّتين..

ثلاثًا!

تبادل كاران وجاسر النّظرات.

أمّا سيف فابتسم ابتسامةً مرعبة.

— يبدو أنّهم وصلوا.

قالت تيا:

— مَن؟

لم يُجبها أحد.

ثمَّ بدأ صوت أقدامٍ يقترب من نهاية الممرّ، أمسك كاران بذراعها.

— تعالي.

— إلى أين؟

— إلى المكان الوحيد الّذي لن يستطيعوا الوصول إليكِ فيه.

— ومن هم؟!

نظر إليها.

كانت عيناه قد عادتا إلى برودهما المعتاد.

— الّذين يبحثون عنكِ منذ عشرين عامًا.

ثمَّ انفتح باب القصر الرئيسيّ بعنف.

وساد المكان صوت واحد...

صوت امرأة قادم من أعماق الظّلام:

— أعيدوا لي ابنتي.

لم يتحرّك أحد.

كانت كلماتُ المرأة لا تزال تتردَّد في أرجاء القصر:

ـ أعيدوا لي ابنتي.

حدّقت تيا في الظّلام، وقلبها يخفق بعنف.

ـ أمّي...؟

التفت إليها كاران بسرعة:

ـ لا تُناديها بهذا الاسم.

نظرت إليه بصدمة:

ـ لماذا؟!

لكن قبل أن يجيب، ظهرت امرأة عند نهاية الممرّ، ترتدي ثوبًا أسود طويلًا، وشعرها الفضّيّ ينساب فوق كتفيها، وعيناها تلمعان بلون الرَّماد.

ثبتّت نظراتها على تيا، وامتلأت عيناها بالدّموع.

ـ تيا...

ارتجفت تيا، كان صوتُ المرأة مألوفًا.

ـ أمي؟

شهقت المرأة، ثمَّ همست:

ـ نعم... أنا أمّك.

تراجعت تيا خطوة:

ـ وأين أبي؟

تغيّر وجه المرأة:

ـ مات ليلة ولادتك.

هزّت تيا رأسها بعنف:

ـ كاذبة! لقد عشتُ معه عشرين عامًا!

قالت المرأة بحزن:

ـ ذلك الرّجل لم يكن والدكِ الحقيقيّ، لقد أخفيناكِ عنهم طوال عشرين عامًا.

تدخّل كاران:

ـ كفى.

نظرت إليه المرأة بغضب:

ـ ابتعد عنها يا كاران!

ثمَّ صاحت:

ـ ماذا فعلت بابنتي؟

ـ أنقذتها.

ضحكت بمرارة:

ـ بل أخفيتَها عن الحقيقة.

فجأةً وضعت تيا يدها على رأسها، وشعرت بألم حادٍّ يجتاحها.

تدفّقت صور غامضة إلى ذهنها:

نار، صرخات، والدها يقف وسط الدّخان، وكاران يقف أمامه شابًّا، وسيفه ملطّخ بالدّماء.

ثمَّ سمعت صوت والدها: احمِها يا كاران... مهما حدث.

سقطت تيا على ركبتيها.

صرخ جاسر:

ـ انظروا إلى يدها!

كانت العلامة السّوداء على معصمها تتوهّج، وتمتدّ منها خطوط تشبه أجنحةً محترقة.

شهقت لينا:

ـ لقد استيقظت...

رفع كاران عينيه إليها، وقال بصدمة:

ـ مستحيل! لم يكن من المفترض أن يحدث هذا إلّا بعد اكتمال العلامة.

ـ ماذا يحدث لي؟!

صرخت تيا.

وقبل أن يجيب أحد، اهتزَّ القصر بعنف، تشقّق الحجر تحت أقدامهم، وانطفأت المشاعل دفعةً واحدة.

ثمَّ سُمع صوتٌ غامضٌ من أعماق الظلام:

ـ عشرون عامًا.. وأخيرًا عادت سليلة الرماد!

اتسعت عينا كاران:

ـ لا.

التفتت تيا نحوه:

ـ من هذا؟

لكنَّ كاران لم يُجب؛ لأنَّ ظلًّا طويلًا ظهر خلفها واقترب صوتٌ باردٌ من أذنها:

ـ لقد حان وقت عودتكِ إلى عرشكِ... يا ابنة النّار!

لم تستطع تيا أن تتحرّك.

كان الصّوت خلفها قريبًا جدًّا، باردًا كأنّه خرج من قلب القصر نفسه.

ـ لقد حان وقت عودتكِ إلى عرشكِ... يا ابنة النّار!

استدارت ببطءٍ، لكنَّها لم تجد أحدًا.

فقط ذلك الظّلّ الطّويل كان واقفًا خلفها، يتلاشى شيئًا فشيئًا داخل الجدار.

تراجعت خطوة، ثمَّ أخرى، حتّى اصطدمت بصدر كاران.

أمسك بكتفيها بسرعة، وأبعدها عنه قليلًا.

ـ لا تنظري خلفكِ.

رفعت عينيها إليه.

ـ لماذا؟

ـ لأنّكِ إن رأيته مرّةً أخرى... سيعرف أنّكِ استيقظتِ.

ساد الصّمت.

صرخ سيفٌ من الطّرف الآخر للممرّ:

ـ كاران! لم يعد لدينا وقت!

التفت كاران إليه.

ـ خذ جاسرًا ولينا إلى البوّابة الشّرقيّة.

اعترض جاسر:

ـ وأنت؟

ـ سأبقى معها.

ضحك سيف بحدّة.

ـ بالطّبع ستبقى معها، أليس هذا ما كنت تفعله طوال عشرين عامًا؟

تجمّد كاران غاضبًا، نظرت تيا إليه بدهشة.

ـ طوال عشرين عامًا؟

لم يُجب.

اقتربت منه المرأة ذات الشّعر الفضّيّ، وكانت عيناها لا تزالان معلّقتين بتيا.

ـ حان الوقت لتعرف الحقيقة كاملة.

قال كاران بحدّة:

ـ ليس هنا!

ـ بل هنا بالذّات.

ثمَّ رفعت يدها نحو تيا.

ـ ابنتي، أنتِ لم تختفي من عالم البشر بالصّدفة.

سألت تِيا:

ـ ماذا تقصدين؟

ـ في اللّيلة الّتي ولدتِ فيها، اندلعت حربٌ بين مملكتين، مملكةُ البشر... ومملكة النّار!

شهقت تيا بذهول.

ـ مملكة النّار؟!

أومأت المرأة.

ـ وأبوكِ الحقيقيّ كان آخر ملوكها.

اتّسعت عينا تيا.

ـ إذن... أنا...

توقّفت الكلمات في حلقها.

أكملت المرأة:

ـ أنتِ الوريثةُ الأخيرة.

تراجع سيف خطوة، بينما نظر جاسر إلى كاران.

ـ لهذا كانت العلامة مخفيّة.

قال كاران:

ـ كان يجب أن تبقى مخفيّةً إلى الأبد.

صرخت تيا:

— كفى!

ارتجَّ القصر مع صرختها.

وفجأةً اشتعلت العلامة على معصمها بلونٍ ذهبيٍّ ساطعٍ.

تراجعت المرأة بدهشة.

ـ لا...

نظر كاران إلى يدها.

ـ إنّها تستجيب لصوتها.

رفعت تيا يدها وهي ترتجف.

ـ أوقفوا هذا!

لكنَّ شيئًا غريبًا حدث...

توقّفت القناديلُ المشتعلة في الممرّ عن الاهتزاز، ثمَّ بدأت النّيران تتّجه نحوها بدلًا من أن تبتعد عنها.

اقتربت ألسنةُ اللّهب منها دون أن تؤذيها.

تجمّد الجميع.

سَرى ذلك الصّوت البارد؛ خاويًا من كلِّ ذرّة مشاعر، وتغلغل في جسد تيا كأنّه نارٌ تلتهم ذاتها من الدّاخل، لتتضاعف فوق الألم آلام.

انتهى الحرف الأخير...

وفور غيابه، انتفض جسدها كأنّ كهرباءَ خفيّةً تسري في عروقها.

عيناها اللّتان كانتا قبل ثوانٍ معدودةٍ تلمعان بلون أزرق السّماء الصّافي، تحولّتا فجأةً إلى سواد اللّيل، مُشرّبًا بحمرة النّار ووهجها الخافت.

جفل كل من حولها، وتراجعوا برعبٍ ممّا يجري.

وفي تلك اللّحظة، اختفى ذاك الظّلّ، مخلّفًا وراءه ابتسامةَ نصرٍ ساخرة، تلاشت بين عتمة المكان وقذارة رائحة الدِّماء الّتي تفوح في أرجاء هذا القصر المشؤوم.

كانت "تيا" تصارع...

تقاتل ماضيها، حاضرها، ومستقبلها المجهول.

وما إن هدأ جسدها من الانتفاض والتّوهّج، حتّى تبدّل كيانها؛ ازدادت طولًا، حتّى باتت تقاربُ طول كاران الّذي لا يضاهيه أحد.

أمّا سيف الّذي كان قبل دقائقَ يخطّط لينقضَّ عليها، فقد بات جسده يرتعد خوفًا ممّا يراه.

نبوءة سليلة الرَّماد أصبحت واقعًا يفرض نفسه ولا مفرّ منه!

استقامت تيا، وقفت على قدميها الحافيتين، وفي تلك اللّحظة، انحنى كلُّ من في تلك الزّنزانة دون استثناء، حتّى أمّها لينا.

لم يكن الانحناء بإرادتهم، بل كان دمها، حضورها، وطاقتها هي ما فرضت نفسها على هذا الجوّ المشحون بالعتمة، الطّلاسم، والغموض.

في داخلها.. كانت تيا تخاطب نفسها من أعماق ذلك الجسد الجديد:

«أنا حقًّا لا أعلم من أنا الآن، وما الّذي يحدث من حولي، لكن كلُّ ما أشعر به هو القوّة اللّامتناهية!

أشعر فقط أنّني أستطيعُ فعل أي شيء مهما كان، ولكن.. إن كان والدي قد مات فعلًا، فهل هذه أمّي حقًّا؟ بتُّ لا أدري ماذا أفعل!».

حاول كاران...

كان يجاهد ليرفع رأسه وهو مُنحنٍ، لكنَّ كيانًا خفيًّا كان يبقيه رغمًا عنه في تلك الوضعيّة.

دقائق معدودة مرّت، ثمَّ انهارت تيا مغشيًّا عليها فوق الأرض.

وبذلك... تحرّر الجميع من القيد الخفيّ.

جرى كاران ولينا نحوها، لكنَّ كاران منع لينا بصرامة من لمس شعرةٍ واحدةٍ منها.

حملها بصعوبةٍ فائقةٍ بين يديه، وسار بها خارجًا من تلك الزّنزانة الصّدئة، يخطو في الممرّ الحجريّ المُعتم وهو لا يعلم أبدًا أنَّ من يضمّها بين يديه الآن، هي ذاتها الّتي ستقلب موازين العالم، وتغيّر مصير كاران بحدِّ ذاته.

وبعد عدّة محاولاتٍ استقيظت تيا ولكن ليس امامهم،

بل بمكان آخر!

جسدها عند كاران ولكنَّ روحها عند ملكٍ كبيرٍ بالسّن وقورٌ يهابه كلّ من ينظر إليه... إلّا تيا!

فالقوّة الّتي حصلت عليها لم يسبق وأن شعرت بها وكأنّها ملكةٌ قويّةٌ كلامها لا يتكرّر، وبعد انحناءٍ مهيبٍ للملك أمام تيا

قال مهيتاب:

ـ تيا ابنتي..

ـ هل أنت مَن يقولون عنك أبي؟

ـ نعم يا ابنتي.

ـ ألم تمُت؟!

ـ وهل الجنُّ يموتون؟

ـ أنتَ... من الجنّ؟!

ـ هذا صحيح.

سألت بفضول:

ـ ولمَ أنا هنا وحدي؟! لمَ تلك المرأة الّتي تدّعي أنّها أمّي ليست موجودة؟!

ـ لأنَّ أمر ظهوري أقرّره أنا وحدي.

سألت تيا ببرود:

ـ هل ستخبرني بالحقيقة؟!

ـ إليكِ ذلك... عندما اندلعت بين مملكة النّار وعالم البشر تلك الحرب، كان عليّ أن أحميكِ... ولهذا السّبب أسكنتكِ جسد تيا

ـ ماذا تعني؟! تيا ليس اسمي الحقيقيّ؟!

ـ لم أكن قد سمّيتكِ بعدُ، عندما.. عندما قتلتُ تيا ابنة مراد.

تجمّدت تيا بمكانها من هولِ ما سمعت، ولم تساعدها شفتاها على الكلام إلّا بعد مرور دقائق...

وأخيرا نطقت:

ـ أتعني أنّك قتلتَ بشريّةً لأسكنَ جسدها؟!!

ـ لقد أُجبرتُ على ذلك يا ابنتي.

تلعثمت تيا:

ـ وهل.. هل أهلي البشريّون يعلمون بهذا؟

ـ ما يعلمونه بأنَّ هناك طبيبٌ مجنونٌ حاول قتل ابنتهم الوحيدة

ـ وأنت قد فعلت هذا حقًّا!

ـ لكنّهم لا يعلمون بذلك، وهذا سببُ العلامة التي بظهر كتفك، وهذا ما حاولوا إخفاءَه عنكِ.

ـ وأنا... هل سأبقى هنا؟

ـ القرار لك.. إمّا أن تعيشي حياةً بشريّةً طبيعيّةً مملّة أو أن تحكُمي مملكةَ النّار بعدي... وهنا يكونُ دوري قد انتهى، سأكون معكِ ولن يعلم أحدٌ من ممكلة النّار أنّني أراكِ وأستطيع التّكلّم معكِ، القرار عندك.. ولكِ حرّيّة الاختيار.

همست تيا بنبرةٍ غريبةٍ لم تسبق وأن تكلّمت بها:

ـ وكاران؟!

يجيبُ مهيتاب بضحكةٍ حاول إخفاءَها:

ـ إنَّ الأرواح تتعارفُ وتجتمع قبل موعدها الحقيقيّ... هذا ما يقولونه في عالم البشر عند بعض الفلاسفة، ولكنّه قد ينطبق على عالم الجنِّ أيضًا!

تهمسُ تيا بخجل:

ـ لا أعلم سبب مشاعري تجاهه، ربّما لأنّه احتواني ووقف أمام الجميع من أجلي.

يقول مهيتاب ضاحكًا:

ـ سأعود لكِ عندما تتّخذين القرار.

استيقظت تيا وأحسّت بيدٍ حنونةٍ تلمس وجهها،

لقد كان وجهها بين كفّي كاران مثبّتًا نظراته المليئة بالخوف والحنان تجاهها.. هل للجنِّ مشاعرٌ أيضًا؟!

قاطعت لينا شرود كاران وتيا وتحديقهما ببعضهما عندما هرولت تجاهها:

ـ تيا ابنتي... هل أنتِ بخير؟!

تيا بوهنٍ وتعب:

ـ بخير، ولكنّي لم أتّخذ القرار بعد!

رمقت كاران بنظرها، لعلّه قرارها الآن بين عقلٍ وقلب، ولعلَّ القلب انقسم لرأيين مختلفين ما بين آل مُراد وهنا!

يستفهم كاران:

ـ أيُّ قرار؟!

ساد الصّمت في جناح تيا بعد اختفاء مهيتاب.

كانت كلماته الأخيرة لا تزال تدور في رأسها:

«لا تثقي بأحد... جميعهم كاذبون.»

جلست تيا قرب النّافذة، تحدّق في مملكة النّار الممتدّة تحتها. قصورٌ سوداء تتوسّطها أنهارُ من نورٍ أحمر، وسماءٌ لم تعرف يومًا معنى الشّمس.

لكنّ شيئًا واحدًا كان يشغلها أكثر من كلِّ ذلك...

كاران!

لماذا أنقذها؟

ولماذا كلّما اقترب منها شعرت بذلك الأمان الغريب الّذي لم تشعر به منذ أن استيقظت في هذا العالم؟

طُرِق الباب، رفعت رأسها.

ـ ادخل.

فتح كاران الباب، وانحنى باحترام.

ـ مولاتي، طلبتِ أن أكون حارسكِ.

نظرت إليه طويلًا.

ـ نعم.

تقدّم خطوة.

ـ هل هناك شيءٌ تريدينه؟

نهضت من مكانها واقتربت منه.

ـ أبي قال لي ألّا أثق بأحد.

خفض كاران عينيه.

ـ وهو محقّ.

تفاجأت.

ـ حتّى بك؟

ساد الصمت.

رفع عينيه إليها، وكانت نظرته مختلفةً هذه المرّة.

ـ خصوصًا بي.

تراجعت تيا خطوة.

ـ لماذا؟

ابتسم ابتسامةً صغيرةً لم تفهم معناها.

ـ لأنّني أخفي عنكِ شيئًا، يا مولاتي.

تجمّدت ملامحها.

ـ ماذا؟

وقبل أن يجيب، دوّى صوت انفجارٍ هائلٍ في أرجاء المملكة.

اهتزّ القصر...

وانطفأت المشاعل دفعةً واحدةً.

ثمّ ظهر على معصم تيا ذلك الرّمز الأسود من جديد، لكنّه هذه المرّة لم يكن متوهّجًا فقط...

بل كان ينزف نورًا أحمر.

ركض سيف وجاسر إلى الجناح.

ـ مولاتي! هناك هجومٌ على البوّابة الشّماليّة!

وقفت تيا بثبات.

ـ من يهاجم مملكتي؟

نظر سيف إلى كاران.

ثمّ قال:

ـ البشر.

تغيّر وجه تيا.

ـ البشر؟

تذكّرت والدها الّذي ربّاها عشرين عامًا.

تذكّرت أمّها، وحياتها القديمة...

ثمّ نظرت إلى كاران.

ـ هل كنت تعرف؟

لم يُجب.

اقتربت منه.

ـ كاران... هل كنت تعرف أنَّ البشر سيأتون؟

قال بهدوء:

ـ كنت أعرف أنّهم سيأتون منذ اللّيلة الّتي أخذتكِ فيها من عالمهم.

اتّسعت عيناها.

ـ ماذا قلت؟

لكن قبل أن تكمل، سقط شيءٌ أسود من السّماء، وارتطم بساحة القصر.

تبعثر الدّخان.

ومن داخله ظهر رجلٌ يحمل سيفًا فضّيًّا، وخلفه عشرات الجنود.

رفع الرّجل رأسه نحو القصر وصاح:

ـ تيا مُراد!

تجمّدت...

كان صوته مألوفًا!

مألوفًا إلى حدٍّ جعل قلبها يتوقّف للحظة.

اقتربت من الشرفة.

ـ من أنت؟

رفع الرّجل السّيف، وقال:

ـ أنا الرّجل الّذي وعد أباكِ أن يعيدكِ إلى عالم البشر مهما كلّف الأمر.

ثمَّ أضاف:

ـ وأنا الوحيد الّذي يعرف الحقيقةَ كاملةً عن موت أبيكِ.

تراجعت تيا.

أمّا كاران، فقد رفع رأسه فجأة، وظهر في عينيه شيءٌ لم تره من قبل...

الخوف!

التفتت إليه.

ـ كاران...

لم يجب.

فوضعت يدها على معصمها، فاشتعلت العلامة.

وفجأة سمعت صوت مهيتاب داخل رأسها:

ـ «الآن فقط... سيبدأ الاختبار الحقيقيّ.»

أغمضت تيا عينيها للحظة.

ثمَّ فتحتهما.

لم تعد تلك الفتاة الّتي اختفت في عيد ميلادها

العشرين...

ولم تعد بشريّةً بالكامل

ولم تصبح جنّيّة بالكامل أيضًا

كانت شيئًا آخر!

شيئًا لم تعرفه مملكة النّار منذ مئات السّنين.

رفعت يدها...

فانحنت المملكة بأكملها.

قالت بصوتٍ هادئ:

ـ افتحوا البوّابات.

نظر إليها كاران بصدمة.

ـ مولاتي، ماذا تفعلين؟

ابتسمت.

ـ سأذهب لأعرف الحقيقة بنفسي.

ثمّ نظرت إليه نظرةً طويلةً، وأضافت:

ـ وأنت... ستخبرني بكلِّ ما أخفيته عنّي.

تجمّد كاران.

أمّا تيا، فسارت نحو البوّابة...

وفي اللّحظة الّتي فتحت فيها، هبّت رياحٌ سوداء أطفأت نار المملكة.

ومن بين الظّلام، ظهر ظلّ رجلٍ يشبه مهيتاب تمامًا.

لكنَّ صوتَه لم يكن نفس الصّوت.

إذ قال:

ـ أخيرًا... عادت سليلة الرماد.

وتوقّفت تيا،

لم تلتفت، فقط ابتسمت؛

لأنّها أدركت أنَّ قصّتها لم تكن قد بدأت يوم اختفائها...

بل بدأت الآن!

نعم من هنا تبدأ قصّة سليلة الرّماد وهيَ تيا الفتاة الهجينة بينَ حياة البشر و مملكة النّار العظيمة

خرجت تيا من بوّابة المملكة متّجهةً لمعرفة الحقيقةِ بذاتها

مكانٌ آخر والنُّور يضيء كلَّ شيء على عكس خفوت المملكة و ظلامها.

ـ لم أكن أعلم أنّني مهمّةٌ جدًّا لعائلة مراد.

قالتها تِيا عند دخولها بصوت قويّ وبحُلّةٍ جديدةٍ تعكس صورتها في آخر لحظةٍ كانت هنا قبل الاختفاء

أباها البشريّ: تِيا! وكيف...

لم يكمل الحديث و قاطعته

ـ لهذا الحدِّ صُدمتَ عند رؤيتي؟!

تركضُ أمّها نحوها بلهفةٍ؛ كي تأخذها بين أحضانها فيكونُ لقاءً يليق بهذا البعد الّذي فرّقها عنهم

قالت تِيا بصوتها الجهوريّ:

ـ لا أحد يقترب منّي!

جئت هنا لكي أعرف الحقيقة المُخبّئة وراء كلِّ هذه الصّراعات

قال والدُها مُرتبكًا:

ـ كانَ ماضٍ ولا داعي لاندلاع حروبٍ جديدة بينَ البشر والجنّ

ـ وماذا عنّي؟ أأبقى بشريّةً أم جنيّة؟! أريدُ معرفة الحقيقة قبل أن يكتمل اشتعال العلامة وتحوّلي!

سألت أمّها:

ـ عمَّ.. عمَّ تتحدّثون؟

ـ اسألوا أنفسكم!

قالتها تِيا بصوتٍ ارتعدَ في أرجاء المكان

لكن ليسَ هذا ما حيَّر تيا.. ما جعلها في حيرةٍ أنّها عندما جاءت إلى عالم البشر، لم تنِر تلك العلامة في عصبيّتها وانفعالها، بقيت كما هي، وكأنّها عادت إلى تيا الّتي كانت من قبل!

قالت بعد صمتٍ طويل:

ـ جئتُ لكي أحيطكَم بالعلم في أنّني وإن لم أعلم بالحقيقة الّتي تخفونها عنّي، سأدمّر البشر جميعهم.. فأنا سيدّة الجنِّ الكبرى!!

تركت جملتها الأخيرة تعابير صدمةٍ وشرودٍ على وجه أبيها من الهَول الّذي سيأتي في الأيّام القادمة!

اختفت من المكان، وعادت حيثُ مملكة الجنِّ.. وحين وصولها انفتحت بوّابات الظّلام لتستقبلها

جاءَ كاران مُسرعًا؛ لينظر فيما حدث

انحنى الجميعُ لها..

تقدّمت خطواتها إلى جناحها ونادت بحارسها الشّخصيّ

أجاب كاران وانحنى عند وصوله:

ـ مولاتي

ـ سأعطيكَ مهلةً لتتحدّث عمَّ أخفيتَه عنّي أو سأجعلك في الجحيم الّذي يدمّرك.

قالت كلماتها القاسيةِ هذه على عكس داخلها المليء بمشاعر الانجذاب له، شيءٌ بداخلها يقول أنّه قريبٌ منها منذ زمن!

أجاب كاران بصرامة:

ـ الحقيقة تؤلم، لا ينبغي أن تعرفي شيئاَ الآن.

صرخت تيا بقوّة:

ـ وما هيَ الحقيقة؟ ماذا تخفون عنّي؟ من أنتم؟ ومن أنا؟!

دخلت في نوبة جنونٍ، والكثير من الأسئلة تدورُ في قحفها المحترق، صوت مهيتاب وخياله يلاحقها ويقول لها "أنتِ الّتي ستكتشفين الحقيقة.. أنتِ فقط" لم تعد تشعر بشيء، وكاران فوق رأسها خائفٌ وحائرٌ، ما هذا الّذي يحدث لها؟! وما هي تلك النّوبات الّتي تأتيها؟

سألت لينا بقلق:

ـ ماذا حدث بابنتي؟ ماذا حدث؟! أخبرني!

ـ لا شيء.. دعوها تستريح فقط، هي مَن طلبت ذلك وهذا أمر ملكة الجنّ.

هذه هي النّوبات والصّراعات الّتي ستكشف لتيا حقيقة صراع البشر و الجنّ، لكن في عقل وأفكار تيا...

مرّت ساعاتٌ ثقيلةٌ داخل جناح "سليلة الرّماد"، النّيران تهمس في أركان غرفتها كأنّها تواسي غيبوبتها

كانت تيا غارقةً في بحر الرّؤى، مشتّتةً بين طرقات الماضي والحاضر والمستقبل، تارةً ترى نفسها طفلةً تركض بين حدائق البشريّة الدّافئة، وتارةً تنشقُّ فجأةً الجدران والأراضين لتبتلعها نيران مهيتاب الّتي وإلى هذه اللّحظة لم تكتشف السّرّ الّذي يخبّئه عنها.

صراع تلكَ الهويّتين كان يمزّق جسدها كأشلاءٍ تحت الأنقاض، وكاد رأسها يستعرُ بحريقه من شدّة التّفكير!

فتحت عيناها لتجد نفسها بغرفةٍ مليئةٍ بالسّكون تملؤها ظلالٌ تتحرّك عند الشُّرفة، هذه المرّة لم يكن كاران كالعادة يرافقها، كان القلقُ والخوفُ على تِيا قد أتعبَ لينا وهي تنتظرها حتّى تستيقظ من بعد صراعٍ كبيرٍ عاد بعد عشرين سنةٍ مضت، لكن هذه المرّة تيا هي من واجهته!

حاولت تيا النّهوض وعبثًا تُصرُّ على صوتها المبحوح أن يخرج، تريد أن ماذا حصل، همست أخيرًا:

ـ أمّي.. وهل يُجدي أن أقول أمّي؟! أم أنّ حتّى هذا اللّقب لا تستحقّينه؟ فأنتِ كالبقيّة تكذبين عليّ، هل أنتِ أمّي أصلًا في الحقيقة؟

تقترب لينا وكلّها خوفٌ بأنّ ابنتها لم تعد تصدّقها حتّى وإن نطقت بحروفٍ صادقةٍ همست بينها وبين نفسها: "ماذا فعلتُ بنفسي وبابنتي؟"

ـ تِيا.. إن كنت أنا كذبة أو ما حولك كذبة، فدمك لا يكذب، أنتِ لستِ مجرّد جنّيّة فحسب... ولستِ بشرية أيضًا، أنتِ هجينة بين البشر والجنّ، أنتِ التّوازن الّذي يخشاه الطّرفان، وهذا السّرُّ الّذي ستكشفينه بنفسك، أو أنَّ مهيتاب بنفسه سيكشفه لكِ.

ـ ألستِ أنتِ من قلتِ أنَّ أبي قد مات، كيف لكِ بهذه اللّحظة أن تقولي أنّه هو من سيكشف الحقيقة؟ هل كلّكم تكذبون عليّ، أم تجعلونني لعبة بين أيديكم؟!

ـ لا لا يا ابنتي.. هناك سرٌّ لكلِّ هذا، وقلتُ لكِ أنَّ أباكِ مات خوفًا عليكِ من الحروب الّتي ستندلع إن علم أحدهم...

دون إكمال كلامها، استقامت تيا وفي جلستها، شعرت ببرود غريبٍ في يدها، نظرت إلى معصمها... العلامة لم تشتعل! رغم كلِّ الغضب الّذي يجتاحها، بقيت العلامة هامدةً كرمادٍ بارد.

تذكّرت كلام مهيتاب في رؤيتها:

"أنتِ الّتي ستكشفين الحقيقة"

خرجت تيا من جناحها بخطواتٍ ثابتة، لتقابلها الممرّات المظلمة للمملكة.

لم تخطُ بضعَ خطواتٍ وإذ بجاسر يظهر بين عتمات الظّلام وعلامات الجدّيّة والغضب ترتسم على وجهه.

جاسر: ذهابكِ لعالم البشر بحدِّ ذاته غلط، فأنتِ لا تعلمين ما يخفونه عنكِ وأيّ خطرٍ يحيط بكِ في ذلك العالم يا مولاتي، فلقد اندلعت حروب قد همدت منذ قرون.

تلتفت تيا بنظرةٍ ملؤها اللّامبالاة

ـ ولمَ الخوف؟! ألسنا نحن سادة الجنّ؟ أم أنَّ هناك أسرارًا جديدةً خلف أقنعة القوّة الّتي تخفونها، هل تخافونَ البشر؟

ـ الخوف ليس من البشر، الخوف ممّا يخفونه البشر عنكِ.. فليس كل ما قالوهُ لكِ صدق، هناك سلاحٌ قديمٌ يملكه البشر ويخفونه عنكِ، أغلق منذ ولادتك وهم يعلمون أنّكِ المفتاح الوحيد الّذي يفتحه من جديد. وهو يتكلم بالألغاز الّتي كادت تيا أن تفكَّ بعضًا منها...

وإذ بسيفٍ يركض وهو يلهث وأصواتُ أنفاسه كادت تقطع وهو يتكلم وكلماته تلعثمت ولم تكن تخرج إلّا بتأتأة قويّة

ـ مولاتي! كاران اختفى من مكانه وشوهد يذهب باتّجاه بوّابات الرّماد القديمة وحده!

انقبض قلب تيا.. كانت تخفي الانجذاب الغامض الّذي تخاف إظهارَه، منذ أن قال لها مهيتاب "إياكِ والوثوقَ بأحدٍ حتّى كاران" وهو مَن قال لها "نعم لأنّني أخفي عنكِ أمرًا" خافت أن يتبدّل كل ذلك إلى رعب الخيانة والكذب.

ماهو الّذي يخفيه كاران هل هي الحقيقة؟ أم أنّه يحاول مساعدتها وحمايتها؟ هل يحميها أم يحمي الحقيقة منها؟

ولكن ورغم كلّ ذلك الرّعب، وكلّ ما تحجبُه من مشاعر.. إلّا أنَّها هرولت وأصدرت صوتًا هزَّ جدران الممرّ "سيف، جاسر"

انحنا لها باحترام

ـ اجمعوا الحرس واتبعوني.. سنذهب خلفه، إذا كان يخفي مفتاح الحقيقة فسأنزعه منه بكامل إرادتي، وإن كان يحميني فأنا بظهره حتّى الموت، حتّى وإن اضطررتُ لإحراق بوّابات الرّماد بأكملها فسأكشف كلّ ما تخفونه عنّي!

انطلقت تيا ويقودها غضبٌ شديدٌ وتسأل نفسها هل الّذي رافقها منذ ولادتها من المعقول أن يصبح عدوًّا لها، فمن أنقذها وهي صغيرة ومن اتى بها إلى هذه المملكة.. هل له أن يؤذيها في هذه اللّحظة؟ أم أنَّه يريد أن يكشف لها كلّ ذلك الغموض لكن دون إيذائها من جديد؟

ذهبت وصراعٌ فكريٌّ وغضبٌ عارمٌ لا يهدأ داخلها، مدركةً أنَّ المواجهة القادمة لن تكون مع أعدائها، بل مع الشّخص الّذي شعرت أنّه الأقرب إلى روحها، وهو كذلك!

إنّه السّرُّ الّذي يخفيه مهيتاب مع أسرار تيا الباقية...

كاران!

لم تستطع تيا أن تتحرّك.

كانت المرأة ذات الشَّعر الفضّيّ تقف أمامها، وخلفها بقايا المرآة المحطّمة تتساقط كأنَّها نجومٌ ميّتة. كان على رأسها تاجٌ من الرّماد، وفي عينيها شيءٌ جعل قلب تيا يخفق قبل أن تعرف السّبب.

اقتربت المرأة خطوة، وقالت بصوت هادئ:

— مرحبا بكِ... يا آخر بنات مملكة النُّور.

التفتت تيا إلى كاران، كان وجهه قد تغير.

لم يكن ذلك الخوف الّذي رأته عندما اقتحمت النَّار حياتها، ولا الحذر الّذي اعتاد أن يخفيه خلف صمته... كان شيئا أقرب إلى الصّدمة.

قالت تيا:

— أنتَ تعرفها؟

لم يجب.

اقتربت المرأة أكثر، ثمَّ رفعت يدها نحو وجه تيا، لكنّها توقّفت قبل أن تلمسها.

— كبرتِ كثيرًا.

تراجعت تيا خطوة.

— من أنتِ؟

نظرت المرأة إلى كاران.

— ألم تخبرها؟

أجاب كاران بصوتٍ منخفض:

— لم يكن الوقت مناسبًا.

ابتسمت المرأة بمرارة.

— بالنّسبة لك، لم يكن الوقت مناسبًا طوال عشرين عامًا.

اشتعلت العلامة على يد تيا، لكنّها لم تكن حمراء هذه المرّة؛ كان ضوؤها رماديًّا، كأنّ النّار نفسها فقدت لونها.

حدّقت المرأة فيها.

— إذن بدأت ذاكرتك تستيقظ.

رفعت تيا رأسها.

— أيّة ذاكرة؟

وقبل أن تجيب المرأة، دوى صوتٌ هائلٌ في أرجاء القاعة.

انطفأت النيران.

وفي اللّحظة نفسها، اختفى مهيتاب.

ركض سيف إلى المكان الّذي كان يقف فيه.

— مهيتاب!

أمّا جاسر فبقي يحدّق في الفراغ، وكأنّه فهم شيئًا لم يفهمه الآخرون بعد.

قال:

— لم يهرب... أحدٌ ما أخذه.

استدارت تيا نحوه.

— مَن؟

لكن لم يجب أحد.

فقد وصل إلى مسامعها صوتٌ لم تسمعه بأذنيها، بل داخل رأسها:

"حين تتذكّرين من قتلتِ... لن يبقى شيءٌ كما كان."

وضعت تيا يدها على رأسها.

ومضت أمام عينيها صورٌ متقطّعة.

نار.

قصر.

رجلٌ يركض نحوها.

يدان مغطّاتان بالدّم.

وصوت امرأة تبكي:

"لا تقتليه... إنّه أبوكِ!"

فتحت تيا عينيها فجأة، كان كاران أمامها...

حدّقت فيه طويلًا، ثمَّ قالت:

— ماذا رأيت؟

اقترب منها.

— لا أعرف.

— كاذب!

كانت تلك أوّل مرة ترفع فيها صوتها عليه منذ أصبحت ملكة.

— أنت تعرف كلَّ شيء يا كاران! تعرف من أنا، وتعرف أمّي وأبي، تعرف لماذا كنت تراقبني منذ طفولتي... فلماذا كلّما سألتك، أعطيتني نصف الحقيقة؟

صمت قليلًا... ثمَّ قال:

— لأنَّ الحقيقة الكاملة كانت ستقتلك.

ضحكت تيا بمرارة.

— وهل تعتقد أنَّ الجهل أبقاني حيّة؟

لم يجد جوابًا.

اقتربت منه حتّى أصبحت المسافة بينهما قصيرة.

— هل كنت تحميني لأنّك أحببتَني؟... أم أنَّك كنت تخاف منّي؟!

خفض كاران عينيه.

— في البداية كنتُ أحميكِ بأمر.

توقّفت أنفاسها.

— أمرٌ من مهيتاب؟

— نعم.

— وبعد؟

رفع عينيه إليها.

– إذا استيقظت قوّتكِ وأصبحت خطرًا على العالمين... كان عليَّ أن أقتلك.

ساد الصَّمت المشوَّبُ بصدمتها

حتّى سيف وجاسر لم ينطقا.

لكنَّ تيا لم تبكِ.

ابتسمت فقط، ابتسامةً صغيرةً موجعة.

– ولهذا كنت بجانبي طوال عشرين عامًا؟

قال كاران:

– في البداية نعم.

ثمَّ اقترب خطوة...

– لكنّكِ كنت طفلة.

صمت للحظة.

– وفي أوّل مرّة رأيتك فيها، كنتِ نائمة بين ذراعي أمّك، فتحتِ عينيكِ، ونظرتِ إليّ... ثمَّ ابتسمتِ.

ارتجف صوته للمرّة الأولى.

– ومنذ ذلك اليوم لم أعد قادرًا على تنفيذ ذلك الأمر.

نظرت إليه تيا، وفي عينيها شيءٌ لم تستطع إخفاءه.

– ومتى تغيَّر كلُّ شيء؟

أجاب:

– عندما لم تعد حمايتكِ واجبًا.

توقّف.

– أصبحتِ أنتِ السّبب.

لم تعرف تيا ماذا تقول.

فقال:

– كنت أراقبكِ كي أحميكِ... ثمَّ أصبحتُ أحميكِ لأنّني لا أستطيع تخيّل عالمٍ لا تكونين فيه.

أخفضت تيا عينيها.

كانت ملكةً أمام الجميع.

لكنّها في تلك اللّحظة كانت مجرّد فتاةٍ تحاول أن تفهم لماذا يؤلمها صدقُ رجلٍ أخفى عنها الحقيقة عشرين عامًا.

قالت بهدوء:

– كنت أكره أنّك تخفي عنّي الحقيقة.

– أعرف.

– وكنت أكره أنّك لا تثق بي.

– كنت أخافُ أن أخسركِ.

رفعت عينيها إليه.

– ربّما كنت أخاف الشّيء نفسه.

لم يقترب أكثر.

ولم تبتعد.

لكنَّ المرأة ذات الشّعر الفضّيّ كانت تراقبهما بصمت، ثمَّ صاحت:

– كفى!

التفتت إليها تيا.

– أنتِ لم تجيبي عن سؤالي.

– أيّ سؤال؟

– من أنتِ؟

تنفّست المرأة ببطء.

– أنا المرأة الّتي كان يجب أن تكون إلى جانبكِ منذ ولادتك.

اتّسعت عينا تيا.

– أمّي؟

لم تجب المرأة مباشرة.

وهذا الصّمت كان أبلغ من أيّ جواب.

قالت:

– اسمحي لي أن أخبركِ شيئًا واحدًا أوّلًا... لينا لم تكن أمّكِ الحقيقيّة.

تراجعت تيا، كأنّ الأرض سُحبت من تحت قدميها.

– ماذا قلتِ؟

– لينا أحبّتكِ أكثر مما أحبّت نفسها، لكنّها لم تلدكِ.

لم تستطع تيا الكلام.

كانت كلُّ هذه الصّدمات تمرُّ أمامها.

كلُّ شيء!

قالت تيا:

– إذن لماذا تركتني؟

أجابتها المرأة:

– لم أتركِكِ.

ثمَّ نظرت إلى كاران.

– هم الّذين أخذوكِ منّي.

رفع كاران رأسه.

– لم يكن لديّ خيار.

– كان لديك خيار!

لأول مرّة ارتفع صوت المرأة.

– كان بإمكانكَ أن تعيدها إليّ.

قال كاران:

– ولو فعلت، لم تكن لتعيش يومًا واحدًا.

سألت تيا:

– لماذا؟

نظر الجميع إليها.

ثمَّ قال كاران:

– لأنّهم كانوا يبحثون عنكِ.

– هم؟ مَن هم؟

قالت المرأة:

– مملكتا النّار والنّور.

تراجعت تيا.

– لماذا؟

اقتربت المرأة منها.

– لأنّكِ لستِ فقط ابنة عالمين.

وضعت يدها فوق العلامة الرّماديّة.

— أنتِ الشّيء الوحيد الّذي يستطيع فتح البوّابة بينهما... وإغلاقها إلى الأبد.

ساد الصّمت.

وفجأة، ظهرت خلف تيا دائرةٌ سوداءُ ضخمة.

كانت بوّابةً...

ومن داخلها خرج ضوءٌ أبيض قاتل.

قال جاسر:

— مستحيل...!

أمّا سيف فسحب الغمدَ عن سلاحه.

لكنَّ كاران أمسك بذراعه.

— لا.

نظر إليه سيف.

— ماذا؟

— هذه البوّابة لا تُفتح إلّا بدمها.

حدّقت تيا في الدّائرة.

— إذن لماذا فُتحت؟

لم يجب أحد.

ثمَّ ظهر وجه رجل داخل الضَّوء.

رجل يشبهها.

عيناه، نظراته، وملامحه.

صرخت تيا:

— أبي...

لكنّ الرّجل لم يتكلّم، مدَّ يده فقط.

وعندها انفجرت الذّكريات داخل رأسها.

رأت نفسها طفلة.

رأت والدها، وكاران.

ورأت النّار!

ثم رأت نفسها وهي تقف أمام رجلٍ مضرّجٍ بالدّماء.

وسمعت صرخة: "تيا! لا!"

ثمَّ رفعت يدها...

وانفجرت النّار، سقط الرّجل، وسقطت معه ذاكرة تيا.

فتحت عينيها وهي تلهث، كان كاران يمسك كتفيها، همست بخفوت:

— أنا قتلته!!

لم ينكر.

— نعم فعلتِ.

نظرت إليه بصدمة.

— أبي؟

صمت.

— هل أنا قتلتُ أبي؟

قال كاران:

— ليس بهذه البساطة.

ابتعدت عنه.

— لا تقل لي أنَّ الأمر ليس بهذه البساطة! أريد الحقيقة!

لكن قبل أن يجيب، خرج صوت من البوّابة:

— لم تقتلي أباكِ يا تيا.

توقّفت.

كان الصّوت لرجلٍ يشبه والدها.

— لقد قتلتِ شيئًا كان يستخدم جسده.

رفعت تيا عينيها.

— ماذا يعني هذا؟

قال:

— ستعرفين عندما تتذكّرين كلّ شيء.

ثم انطفأ الضّوء،

واختفت البوّابة!

وفي اللّحظة نفسها، ظهر مهيتاب داخل المرآة المحطّمة.

كان وجهه شاحبًا.

قال:

— لا تدعها تتذكّر.

صرخت تيا:

— مهيتاب!

رفع عينيه إليها.

لكن قبل أن يقول شيئًا، ظهرت خلفه ظلالٌ سوداء وسحبته إلى الظّلام.

صرخت تيا:

— يا إلهي! مهيتاب! أبي!

واندفع كاران نحو المرآة، لكنّها تحطّمت تمامًا.

بقيت قطعة صغيرة منها على الأرض.

اقتربت تيا منها.

وحين لمستها، ظهر مشهدٌ أخير.

كاران واقف أمام رجل مجهول.

وفي يده سيف.

والرّجل يقول:

— إن لم تقتلها الآن، ستقتلنا جميعًا.

ثمَّ ظهر كاران وهو يبكي.

وكانت تيا الطّفلة نائمةً في الغرفة المجاورة.

قال كاران:

— لن أقتلها.

قال الرّجل:

— إذن ستقتل هي الشّخص الّذي تحبّه يومًا.

رفع كاران سيفه...

ثمّ انطفأت الصّورة.

حدّقت تيا في كاران، كان وجهه قد فقد لونه.

قالت بصوت خافت:

— من كان ذلك الرّجل؟

لم يجب.

اقتربت منه.

— كاران...

رفع عينيه إليها.

قالت:

— ماذا كنتَ تخفي عنّي أيضًا؟

صمت طويلًا.

ثمَّ قال:

– كنت أخشى أن تتذكّري شيئًا واحدًا.

– ماذا؟

نظر إلى العلامة الرّماديّة على يدها.

– إنّكِ في المرّة الأولى الّتي استيقظت فيها قوّتك... لم تكوني الملكة الّتي تعرفينها الآن.

اقتربت تيا خطوة.

– من كنت؟

أجاب بصوت بالكاد سمعته:

– كنتِ النّار نفسها.

وفي اللّحظة الّتي قالها، اشتعلت العلامة على يد تيا من جديد.

لكنَّها هذه المرّة لم تكُن بلونٍ أحمر.

كان لونُها أسود.

وانطفأت كلُّ النّيران في المملكة.

ومن أعماق الظّلام، جاء صوتُ مهيتاب للمرّة الأخيرة:

– لقد بدأت تتذكّر.

زجاجٌ أشبه بالمرآة خرج من يديها

وبدأت ترى نفسها عندما ولدتها أمّها، كان أبيها وقتَها يعشق لينا لجمالها السّاحر، قتل أمّها بعد ولادتها وحالًا أخذتها لينا وقامت بتربيتها، لكنّها كانت تعلم أنّها خطرٌ كبيرٌ على عالمي النّار والنّور

قالت لينا لمهيتاب:

ـ أنا أحبُّ تيا، لكنّها خطرٌ عظيمٌ سيدمّر كلَّ شيء، أرسِل كاران ليقوم بحمايتها بعدما تعيش بجسدٍ بشريٍّ، وعندما نشعر بخطرها.... يقتلها.

اختفت المرآة، وكانت تِيا مذهولةً من كلِّ ما رأت.

صرخت بأعلى صوتِها

ـ كاران! أنت الشّخص الوحيد الّذي كان يحبّني، لقد وهبتَ حياتكَ وعمركَ فقط لحمايتي، سوف أكسر كبريائي وأقول لك أنّي أحبّكَ وأثق بكَ أكثر من أيِّ شيءٍ في العالم!

كاران بابتسامة:

وأنا أحبّك، وهذه هديّة حبّنا.

لقد طعنها بسيفٍ مسموم!

شخصَت تيا بصرها من هولِ الصّدمة، كادت أنفاسها تنقطع عندما انهارت بين يديه وتركَها على الأرض، ثمِّ قالت وهي تلفظ أنفاسها الأخيرة:

ـ جاءت الطّعنة بيد من وثقتُ به، لقد قتلتَني مرَّتين، مرّةً عندما وثقتُ بكَ، ومرّة عندما خذلتَني!

ضحك كاران بسخرية، ثمَّ هتفَ بارتياح:

ـ الآن قد أنجزتُ مهمّتي.

مجد المصري

في حفلةٍ دافئةٍ وصغيرةٍ اجتمعَت أصواتُ الاحتفالاتِ والضّحكاتُ النّديّة

وقَف كاران أمام المرآة في غرفةٍ داخليّةٍ منفصلة، وراحَ ينظر في عينيه المنعكسةِ أمامه، تذكّر كلماتٍ لا تغادرُ قحفه منذ شهور "جاءت الطّعنةُ بيدِ من وثقتُ به، لقد قتلتني مرّتين، مرّةً عندما وثقتُ بك، ومرّةً عندما خذلتَني"

شدَّ ربطةَ عنقهِ بقوّة حتّى شعر أنّه سيختنق، لكنَّ اليدينِ اللّتانِ أحاطتا بهِ من الخلفِ أعادته لحاضره، فابتسم بحنان واستدار نحوها، اتّسعت عيناه من فرطِ الإعجاب عندما وجدها ترتدي فُستانًا أنيقًا تبدو وكأنّها قد خرجَت من روايةٍ ما، فهمس بخفوت:

ـ عليَّ الزّواجُ بكِ بعد هذا!

ابتسمت بخجل:

ـ دعنا ننتهي من حفلة الاستقبال هذه ثمَّ أفكّر بالأمر

ـ أهذا يعني أنّكِ موافقة؟!

ـ قلتُ سأفكّر ولم أقل موافقة!

ثمَّ قاطعهما صوتٌ من الخارج

ـ هيّا يا تِيا... الجميعُ في انتظارك.

ـ قادمة.

ابتسمت والتفتت نحوه

ـ هيّا بنا! أريدك أن تكون معي!

ـ أنا خلفكِ دائمًا

ومشَت أمامه بينما كان يتبعها بعينيهِ وتعود إلى رأسه تلك الذّكرى...

بعد أن طعنَها بسيفٍ مسموم، ابتسم بسخريةٍ وهتفَ بارتياح:

ـ الآن قد أنجزتُ مهمّتي.

ثمَّ تقدّم نحو والدتها وجاسر وسيف وقال ببرود:

ـ لقد فعلتُ ما طلبتم منّي.. أيمكنني أن أعيش كما أريد الآن؟!

قالت والدتها بمرارة:

ـ أحسنت، لقد تخلّصتَ من مصدرِ الشّؤمِ على هذهِ المملكة وعلى حياتي، بقي شيءٌ أخير يا كاران..

ـ ماذا؟

ـ خُذ جثّتها من هنا... أحرقها! إنّها هجينة وخلقَ نصفُها من نار، فعليها أن تعود إليها.

ـ أوامرُكِ مُطاعة.

ثمَّ اتّجه إلى حيثُ يرقدُ جسدُ تِيا، اقترب بخفّة ثم أخرجَ من جيبِه شيئًا وألقاهُ عليها..

استعادت وعيها!

وكأنَّ السُّمّ اختفى من جسدها تمامًا!

شهقت والدتها والصّدمةُ طمسَت ملامحها، همسَت بقلق:

ـ ما الّذي فعلتَه يا كاران؟!

أمسك كاران بيدِ تيا وساعدها على النّهوض

ـ لقد طلب منّي السّيّد مهيتاب هذا، قال إنّها الطّريقة الوحيدة لتعرف تيا الحقيقة

ـ ماذا تقصد؟!

ـ إنّه ليس سُمًّا، إنَّه عقّارٌ يشلُّ حركة الجسد، لكنَّ الوعي والحواسّ تبقى متيقّظة، هكذا... سمعت تِيا كلَّ شيءٍ يا "كارينا" أيّتها الجنّيّة الحقيرة!

جفل جسدُ سيف وقال:

ـ ماذا تعني.. كاران؟!

ـ إنّها يا صديقي مجرّد مُخادعة، أتصدّق القصّة الّتي روتها؟ أنَّ مهيتاب خانَها وأحبَّ امرأة غيرها؟!

صرخت كارينا:

ـ كاران! لا تفعل هذا!!!

ـ آسف.. عليّ ذلك، لقد حاولت كارينا قتلَ مهيتاب بسُمٍّ بطيء، ولكنّها حملَت بتِيا دون تخطيطٍ لذلك، فقرّرت تغيير الخطّة ومحاولة السّيطرة على مهيتاب وقراراته بصفته ملكًا لمملكة النّار، لكنَّه اكتشف عن طريق المُصادفة أنّها مُخادعة، وعرفَ بأمر السُّمّ، فقرّر قتلَها بعد أن تضعَ طفلتها، وفعل ذلك!

لكنَّ الجنَّ المظورونَ قد استخدموا لعنةً تُعيدها.

صرخ جاسر:

ـ الجنُّ المحظورون؟!!!

ـ إنّها منهم، تنكّرت بهيئة أخرى طوال الوقت

صاحَ سيف:

ـ ما الّذي يحدثُ بحقِّ السّماء؟!

أكمل كاران:

ـ لهذا خافَ والدكِ يا تِيا أن تجعلكِ دماءُ أمّكِ الخبيثة تُصبحين خطرًا، فأمرني بقتلكِ في حال ذلك، لم يفعل ذلك هو مع أنّه قادر، لأنّه أحبّك حقًّا، لكنَّهم قتلوه وحاول العودة باستخدام قوّته، فصار يعودُ كروحٍ شريدة تأتي في الوقتِ المُناسب ثمّ تختفي، وكنتُ أنا نائبه السّرّيّ.

سرَت رعشةُ الغضبِ في جسدِ كارينا:

ـ أيّها الخبيث!!

ـ أأنتِ تقولين ذلك؟! طلبتِ منّي قتل ابنتكِ حتّى تستحوذي مع قبيلتكِ من الجنِّ على المملكة، أنتِ بلا قلب!

ـ يجدرُ بي القول أنّك بلا عقل

قالت كلمتها ثمَّ انطلقت نحوهُ والنّار المُستعرةُ تحيطُ بجسدها كهالةٍ حامية

انطلق جاسر وسيف يصدّان ضرباتها بغيةَ حماية صديقهما، بينما وقفت تِيا مصدومة، تحاول فهمَ كلِّ ما حصل فاستيقظت نارٌ خفّيّة من يديها وشعرت أنَّ جسدها على وشك الانفجار، فأطلقت هذه النّار كلّها في وجهِ كارينا، صار الطّرفانِ متساويا الشّدّة فتارةً تقتربُ النّار من تِيا وتارةً من كارينا، بدأ جسد تِيا يتراجع للخلف من شدّة الدّفع الّذي تُحدثه أمّها، لكنَّ كاران أسندَ ظهرها بيديه وهمس بصوتٍ نقلتهُ لها الرّياح:

ـ يمكنكِ فعلها تِيا، وإن لم تستطيعي فسنموتُ معًا!

تسلّلت عبراتٌ صغيرةٌ من مقلتيها وشدّت عزمها وصرخت بقوّة، فسانداها جاسم وسيف وامتدَّت أصواتُ صرخاتُهم هم الأربعة في المَيدان حتّى بدأت كارينا تتراجع للخلف، وشيئًا فشيئًا بدأت نارها تخبو... حتّى انطفأت، والتهمتها نارُ تِيا!

استلقت على الأرضِ أنفاسُها تكاد تنقطع وجسدُها يكاد ينفجرُ من شدّة التّعب، استلقى كاران بجانبها:

ـ عرفتُ أنّكِ قادرة على هزيمتها!

ـ لأنّك كنتَ معي

ـ لا، أنتِ قويّة... قويّة جدًّا!

ـ من الجيّد أنّك جعلتني أعرف الحقيقة بنفسي

ـ إنّها وصيّة والدك

ـ ليتَني عرفتُه جيّدًا...

"لكنّك نسختُه الصّغيرة فلا حاجةَ لكِ بمعرفته"

نهضت بفزعٍ والتفتت خلفها لتجده، نظرَ إليها بعينيه اللّتين تحملان حُبًّا لم تستطع سنواتُ البُعد إطفاءه وهمست:

ـ أبي!

ـ فخورٌ بكِ ملءَ الكونِ يا ابنتي

ثمَّ نظر مهيتاب إلى رماد كارينا وقال بصوتٍ يشوبه حزنٌ مرير:

ـ ليتَكِ حصلتِ على أمٍّ غيرها، كُنت تستحقّين حياةً أفضل!

ابتسمت وسط دموعها

ـ لا بأس، أنا سعيدة برؤيتكَ الآن.

واقتربت لتحتضنه لكنّه يديها مرّتا من خلاله، إنّه حقًّا كما قال كاران.. روحٌ شريدة!

ابتسم لها بحنان ثمَّ أضاء جسدهُ بنارٍ طفيفةٍ واقترب ثمَّ احتضنها، رغمَ أنَّها لم تشعر بجسده، لكنَّ الدّفء وصلها!

ثمَّ وضع يدَه على قلبها وسحبَ كلَّ النّار، صرخَت بألمٍ ولكنّها تماسكت حتّى انتهى.. قال بنبرةٍ تحملُ خوفَ أبٍ على طفلته:

ـ هكذا.. ستستطيعين العودة لحياةِ البشر والعيشَ بأمان

ـ لكنّي أريد البقاء هنا

ـ إن علمَت قبيلةُ الجنِّ المحظورين بوجودكِ لن يفلتوكِ حتّى يجدوكِ، عودي لهناك.. فوالداكِ شخصان طيّبان، كما أنّني مجرّد شبح.. ليس لديكِ شيءٌ في هذا العالم، تستحقّين السّلام.

ـ وماذا عن المملكة؟ والحرب؟ والجميع هنا؟!

ـ فليفنى كلُّ شيءٍ لقاء بقائكِ بخير!

ـ ولكن...

قاطعها بصرامة:

ـ ليستُ كلُّ المعاركِ تستحقُّ المحاربة يا ابنتي!

ثمَّ أردف:

ـ سيذهب معكِ كاران وسيف وجاسر، أنا لن أتأثّر بما سيحدث، فلا أحد يعلم أنّني مازلتُ في هذا العالم، ولينا ذهبت إلى مملكةٍ صديقة حتّى تبقى بأمان، هيّا اذهبي يا ابنتي!

هطلت دموعُها بلا توقّف فأشار إلى كاران الّذي اقترب يسحبها ببطء وهي مازالت تلتفت لتنظر إلى والدها للمرّة الأخيرة بينما كان سرابُه يتلاشى حتّى اختفى!

عاد كاران للحاضر وابتسم، ثمَّ تبع تِيا إلى الحفلة حيثُ كان والداها البشريّان قد أعدّا لها استقبالًا جمعا فيه عائلتها البشريّة، صديقاتها، وكلّ مَن تحبّ... بمَن فيهم كاران وجاسر وسَيف.

اقتربت إحدى صديقاتها منها وهمست:

ـ عليكِ أن تخبريني أين تعرّفتِ على هذا الشّابّ الوسيم بعد أن اختفيتِ!

ـ إنّها قصّةٌ طويلة

ـ ليس لديّ ما أفعله

ـ ما رأيكِ أن تذهبي وتسألي سيف، أنتما الاثنان مزعجان، ستحبّان التحدّث كثيرًا

ـ آه.. هل هو ذاكَ الوسيم الآخر؟!

ـ نعم

ضحكت بمشاكسةٍ ثمّ قالت:

ـ إذن سآخذ لورين معي كي تتحدّث للآخر... أظنُّ اسمه جاسر

ـ افعلي ما تشائين!

ثمَّ قطع حديثهما صوتُ كاران يحادث والديها وكان يبدو عليه هذه المرّة بعض التّوتّر والقلق عكس طبعه الهادئ الواثق:

ـ إنّني.. أتشرّف بطلبِ يدِ تِيا... للزّواج يا سيّدي

ابتسم والداها وهما ينظران لبعضهما، بينما كسَت حمرة الخجل خدّي تِيا وصاحَت صديقاتُها في فرح

أعرب والدها بصراحة:

ـ لن أجدَ رجلًا أشدُّ منك نُبلًا يا كاران، ولن يحميها أحدٌ كما فعلتَ أنت، لكنَّ القرار الأخير لابنتي..

حوّلوا جميعًا أنظارهم إلى تِيا الّتي تكاد يُغمى عليها من شدّة الحرج، وعيونُ كاران تترقّبها بقلق

سألت:

ـ هل ستشتري لي الشّيكولاتة؟!

استغرب كاران سؤالها فأجاب بتلقائيّة:

ـ أشتري لكِ ما تريدين

ابتسمت

ـ إذن نعم!

النّهاية

إلى القارئ:

والآن، وقد أُسدِلَ السِّتار، وانطفأت آخرُ جمرةٍ في موقد الحكاية، لعلّك تظن أنّك بلغتَ نهايتها.

لكنّ بعض الحكايات لا تنتهي حين تُطوى صفحاتُها؛ بل تبدأ، فما رُويت هذه الحكاية لتُصدَّق، وإنّما لتُشعِل شيئًا ما... ربّما شعورًا، وربّما فكرةً تظلّ عالقةً في داخلك.

لقد عبرتَ عالمًا لا تشبه قوانينه قوانين عالمك؛ عالمًا كان للرّماد فيه ذاكرة، وللدّم أسرارٌ، وللأسماء أثمانٌ، وكان النّور فيه، أحيانًا، أشدَّ قسوةً من الظّلام.

ولم يكن كلُّ ما رأيتَه حقيقةً، كما لم يكن كلُّ ما خشيتَه شرًّا.

التقيتَ أرواحًا ضلّت طريقها، وقلوبًا أخفت ندوبها خلف القوّة، وأشخاصًا لم يختاروا مصائرهم، لكنّهم اختاروا كيف يواجهونها.

ولعلّك، طوال الحكاية، بحثتَ عن الأبطال بالمعنى الّذي تعرفه.

لكنّ بعض الأبطال يولدون من النّور،

أمّا هي... فقد خرجت من الرّماد.

فإن وجدتَ نفسك، الآن وقد بلغتَ النّهاية، تتساءل عمّن تكون سليلة الرّماد، فلا تتعجّل الإجابة.

فربّما لم يكن السّؤال الحقيقيّ يومًا: مَن هي؟

بل...

ماذا بقي منها بعد أن احترق كلُّ شيء؟

عِنْدَمَا تَتَشَابَكُ خُيُوطُ الحَاضِرِ بِالمَاضِي،
وَتَبْقَى الأَسْئِلَةُ بِلَا جَوَابِ...
عِنْدَهَا فَقَطْ سَتَشْتَعِلُ النِّيرَان!
في عَالَمٍ لَا مَكانَ فيهِ لِلثِّقَةِ، هَلْ سَتَتَمَكَّنُ تِيا
مِنَ المَضيِّ بِهِ قُدَمًا وَتَحْقيقِ المُسْتَحِيلِ؟!
وَمَا هِيَ تِلْكَ الحَقيقَةُ المُخَبَّئَةُ بَيْنَ ثَنَايَا
قُلُوبٍ لَا تَعْرِفُ الرَّحْمَة؟